أساليب الإنشاء غير الطلبي في شعر عمر بن أبي ربيعة

إعداد: د.عبدالله أحمد الوتوات•

المقدمة:

اهتمّ البلاغيون بدراسة الإنشاء الطلبي، ووجْهُهُم في ذلك: أنه غنيٌّ بالاعتبارات والملاحظات البلاغية، وأنّ أساليبه – وهي الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء – قد ترد ويُراد بها غير معانيها، وهذا بخلاف الإنشاء غير الطلبي، فأساليبه أكثرها في الأصل أخبار نُقلت إلى معنى الإنشاء، وهي لا تستعمل إلا في معانيها التي وضعت لها، فالقَسم هو القَسم، والتعجب كذلك والمدح والذم ... وهذا لا يعني أن تلك الأساليب خالية من الاعتبارات البلاغية والمزايا الجمالية بل تكمن وراءها ملاحظات بلاغية واعتبارات دقيقة. وإذا ما تأملنا أسلوب القَسَم في القرآن الكريم، وتعدّد مواقعه، واختلاف المُقسَم به، وأجوبة القسَم تجد وراء ذلك كثيرًا من الأسرار البلاغية.

من ذلك قَسمُ الله جلّ شأنه بالضُّحى، حيث قال سبحانه: ﴿**والضُّحَى واللّيلِ إذَا سَجَى**﴾[1] وهذا القَسم يَقصد به إنعام الله تعالى على رسوله عليه السلام وإكرامه له، وإعطائه ما يرضيه، وذلك متضمنٌ تصديقه له، فهو قسَمٌ على صحّة نبوّته، وعلى جزائه في الآخرة، وهو قسَمٌ على النبوة والمعاد وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته دالتين على ربوبيته وحكمته ورحمته، وهما: الليل والنهار.

والمتأمل لهذا القَسم يجد فيه مطابقته مع نور الضُّحى الذي يأتي بعد ظلام الليل للمُقسَم عليه، وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه، حتى قال أعداؤه: ودَّعَ محمدٌ ربَّه.

• عضو هيئة التدريس في كلية التربية – جامعة مصراتة

[1](1) سورة الضحى، الآيتان:1، 2 .

فأقسم الله بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره، بعد ظلمة احتباسه واحتجابه، وأيضًا فإن فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة فهذان للحسّ، وهذان للعقل. وأيضًا فإن الذي اقتضت رحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدًا، بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم، لا يليق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغي، بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم ، فهناك حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه، وهناك جزالةٌ ورونق في هذه الألفاظ، وهناك جلالٌ على معانيها.

ومنه قوله تعالى: ﴿**فَلا أُقسِمُ بِمواقِعِ النُّجوم**﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿**والنَّجمِ إذَا هَوَى**﴾[2] حيث وجّه النظر إلى ما في حفظ النجوم في مواقعها فلا تسقط ولا تضطرب، من قدرة قديرة على هذه الصيانة والضبط، وما يبعثه هوي النجوم من رهبة في النفس، وكلا الأمرين مثارُ إعجاب بخالقه يبعث في النفس الاطمئنان إلى خبرٍ يكون هو موضع القسم فيه [3].

وقد وردت في شعر عمر بن أبي ربيعة أنواعٌ عديدة من أساليب الإنشاء غير الطلبي منها: أسلوب القسم، وأسلوبا المدح والذم، وأسلوب التعجب، وغيرها من الأساليب، وقد آثرتُ اختيار أساليب الإنشاء غير الطلبي وإهمال أساليب الإنشاء الطلبية منها في شعر هذا الشاعر لعدة أسباب منها: أنّ الأساليب الطلبية قد قمتُ بدراستها في لقاء سابق مع هذا الشاعر، فأردتُ أن أكمل الحديث عن هذه الأساليب بشقيها في هذا العمل، كذلك

---

[1](1) سورة الواقعة، الآيتان: 75 ، 76 .

(2) سورة النجم، الآية:1 .

(3) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2004 م، ص 171 .

لأن هذه الأساليب لها مكانتها في الكشف عن خبايا النفس، وخفايا الأسرار، فأردت أن أكشف عن أسرارها، وأبيّن قيمتها، لا سيما في شعر واحد من أبرز شعراء العصر الأموي، ولأن تلك الأساليب لم أعثر لها على دراسة مستقلة عرّفتْ بها وتناولتها .

وقد بدأ الباحث هذا العمل بمقدمة، ثم بالتعريف بالإنشاء الطلبي وغير الطلبي واهتمام البلاغيين بهما، ثم قام بتوضيح أساليب الإنشاء غير الطلبي في مباحث، وهي على النحو التالي:

المبحث الأول: أسلوب القَسم وأنواعه – القَسَمُ المقدّر.

المبحث الثاني: أسلوبا المدح والذم.

المبحث الثالث: أسلوب التعجب.

أولاً : الأساليب الإنشائية ومفهومها:

الإنشاء لغةً:

الإنشاء هو الإيجاد والإبداع، قال صاحب اللسان: "نشأ: أنشأه الله: خلقه"[1].

الإنشاء اصطلاحًا:

الإنشاء عكس الخبر، قال ابن عاشور: "الكلام كله إمّا خبر أو إنشاء" [2]، وعرّفه الخ[3]نين بقوله: "ما سِوى الخبر مما أفاد طلبًا أو قسيمه"[4].

أما تعريفهم له بأنه: "الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته"[1]، ففي تنزيله على الآيات القرآنية سوء أدب مع الله، ويجب علينا عدم تناوله.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط 8، 1435هـ، مادة: (ن.ش.أ)

(2) موجز البلاغة، محمد الطاهر بن عاشور، أضواء السلف، ط1 ،1426هـ ، ص 22 .

3

(1) النظم القرآني في آيات الجهاد، ناصر بن عبد الرحمن الخنين، مكتبة التوبة، ط 1، 1416هـ، ص 253.

والإنشاء ضربان: **طلبي وغير طلبي**، الطلبي: " هو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب" [2] ومن أنواعه : الأمر، النهي، الاستفهام، النداء، التمني.

غير الطلبي: هو الذي لا يستدعي مطلوبًا، إلا أنه ينشئ أمرًا مرغوبًا في إنشائه [3] وأشهر أنواعه : القسم، المدح والذم ، التعجب .

وقد اهتمّ البلاغيون بدراسة الإنشاء الطلبي، ووجْهُهُم في ذلك أنّه " كثير الاعتبارات وتتوارد عليه المعاني"[4] بخلاف الإنشاء غير الطلبي الذي ليس وراءه طلب، فقد أهمله البلاغيّون ولم يُلقوا له بالاً، فنجدهم في كتبهم المختلفة يركّزون على الأساليب الطلبية، ويَتْبَعون بعضهم البعض في الحديث عنها، وقد تنبّه البلاغيون المُحدثون لهذا الأمر وأشاروا إليه، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر (أحمد مطلوب) الذي قال: "ولا يهتمُّ البلاغيون بهذه الأساليب الإنشائية لقلّة الأغراض المتعلقة بها، ولأنّ معظمها أخبار نُقلتْ من معانيها الأصلية، أما الإنشاء الذي يعنون به فهو الطلبي لِمَا فيه من

---

(2) ينظر:علم المعاني، بسيوني عبدالفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1419هـ، 63/2، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1983م،332/1، والبلاغة فنونها وأفنانها، (علم المعاني) فضل حسن عباس، دار الفرقان، إربد ، ط 4، 1417هـ، ص 147.

(3) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة ، 1420 هـ 28/2

(4) ينظر: البلاغة العربية، عبدالرحمن بن حسن الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية، بيروت، ط 1، 1996 م ، 224/1 وعلم المعاني، بسيوني فيود، 65/2

(5) دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ، مصر– القاهرة ، ط 2 ، 1987 م ، ص 192 .

تفنّنٍ في القَول لخروجه عن أغراضه الحقيقية إلى أغراض مجازية تُفهَمُ من سياق الكلام [1]"

وكذلك ما قاله أحمد الهاشمي: " واعلم أنّ الإنشاء غير الطلبي لا تبحثُ فيه علماء البلاغة ، لأنّ أكثر صيغه في الأصل أخبار نُقلت إلى إنشاء ، وإنّما المبحوث عنه في علم المعاني هو الإنشاء الطلبي لما يمتاز به من لطائف بلاغية "[2]

ويمكن أن نرجّع سبب غفلة البلاغيين عن هذا النوع من الأسلوب إلى أمرين:

1 – قلّة الأغراض البلاغية المتعلقة به.

2 – ولأنّ أكثر صيغه هي أخبار نُقلت إلى إنشاء.

فأقول أنّ السبب الأوّل بأن عدم اهتمامهم بهذا النوع من الإنشاء لقلّة الأغراض البلاغية ولعدم وجود مزايا بلاغية، ففيه ميلٌ عن الحق وبُعدٌ عن العدل، لأن الكثرة والقلة لم تكن في يومٍ من الأيّام مقياسًا للأصلح والأنفع، فلو كان الأمر كذلك لكانت ملّة الكفر هم الذين على الحق والمؤمنون على الباطل، قال تعالى: ﴿**ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ**﴾ [3]

(1) البلاغة العربية، المعاني، البيان، البديع، أحمد مطلوب، ط 1، بغداد، 1980م، ص 87.

(2) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف: أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ط 12، ص 76.

(1) سورة الواقعة، الآيتان: 13 ، 14 .

والواقع أنّ الإنشاء غير الطلبي ليس بقليل، بل حاله حال كثير من فنون البلاغة، وفيه جانبٌ مهم من علم المعاني، ويحتوي على أنواع من المعاني والمدلولات التي تدعمُ لغتنا وتعْضدُ بَلاغتَها وفنونَها .

وأمّا السبب الثاني بأنّ أكثر أنواعه أخبار نُقلتْ إلى إنشاء، فيكفي من البلاغة نقلها إلى الإنشاء لأنها بمجرد النقل تعتبر عملاً بلاغيًا يدعو إلى الدراسة وبيان مقاصدها وأعاجيب مراميها.

وقد أشار سعد الدين التفتازاني إشارة ضمنية إلى هذا بقوله معلّقًا على قول الخطيب:" والإنشاء إنْ كان طلبًا استدعى مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب" قال:" والغرض أنّ جميع أنواع الطلب يستدعي ذلك، حتى إذا كان المطلوب حاصلاً يمتنع إجراؤها على معناها الحقيقي ويتولد منها بحسب القرائن ما يناسب المقام"[1]

ومهما يكن من أمر فإن إهمال البلاغيين لهذا الأسلوب ليس له مبررٌ، فقد نجد أنّ "للتعجب والقَسم مواقع متقنة وفاعلة في النفس فعل أقوى الأساليب وأدخلها في بحث البلاغة "[2] ونلحظ ذلك في القرآن الكريم– كما ذكرنا في مقدمة البحث – حيث نرى هنا قَسَمًا بالنجم وما هوى، وهناك بمواقع النجوم، وغيره بالخنّس الجواري الكنس، وآخر بالتّين والزيتون، والكشف عن هذا القَسم ليس من نافلة عمل البلاغيين، فهو لا يقلّ أهميّةً عن الأساليب الطلبية.

المبحث الأول: أسلوب القسم:

نبدأ بأسلوب القسم باعتباره أكثر الأساليب غير الطلبية ورودًا في شعر الشاعر، فقد ورد في اثنين وسبعين بيتًا من أبيات قصائد عمر بن أبي ربيعة ، وسببُ ذلك –

(2) مطـوّل علـى التلخـيص، سـعد الـدين التفتـازاني السـمرقندي، ت(792هـ)، مطبعـة سـنده، 1310هـ، ص 224

(3) دلالات التراكيب، محمد أبوموسى، ص 192 .

حسب رأيي– هو أنّ الشاعر كان يخاطب نفسيات مختلفة، فهو يحتاج في بعض الأحيان لكي يؤكّد حديثه بهذا القسم فالقسم"وسيلةٌ من وسائل توكيد الخبر لدى السامع"[1] ومن ذلك يتبيّن لنا أهمية أسلوب القسم بوصفه وسيلة مهمّة في تحقيق المعاني.

قال ابن أبي الإصبع عن القَسم: "وهو أن يريد المتكلم الحَلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخرٌ له أو تعظيم لشأنه أو تنويه لقَدَره، أو ما يكون ذمًّا لغيره، أو جاريًا مجرى الغزل والترقق، أو خارجًا مخرج الموعظة والزهد"[2]

وأدوات القسم هي: "الباء، الواو، التاء، اللام، الميم المكسورة، مِن"[3] وبناءً على الاستقراء الذي قمتُ به على شعر الشاعر، وجدتُ أنّ الشاعر قد جاء استخدامه لحرف القسم (الباء) في المرتبة الأولى فاستخدمه في تسع عشرة مرة .

ومن الأمثلة على ذلك قول عمر بن أبي ربيعة(من الكامل) [4]:

قُلتُ اِسمَعي لا تَعجَلي بِقَطيعَةٍ بِاللَهِ أَحلِفُ صادِقاً أَيمانا

يتحدث الشاعر إلى صاحبته، ويطلب منها عدم الاستعجال في البعد والقطيعة، ويحلف بالله دليلاً على صدقه.

ومنه أيضاً قوله (من البسيط) [5]:

بِاللَهِ ما نِمتُ مِن نَومٍ تَقَرُّ بِهِ عَيني وَلا زالَ قَلبي بَعدَكُم كَمِدا

---

(1) التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية، ت: يوسف شاهين، دار الكتاب العربي، (د.ت) ص 3 ، وينظر: الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن قيّم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ص 117 .

(2) بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، ت: محمد حفني شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت)، ص 112.

(3) أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، ط 1، الكويت، 1980م، ص 108.

(4) ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له: فايز محمد، دار الكتاب العربي، ط 2، 1416هـ – 1996م، ص 269.

(1) المصدر السابق، ص 104.

يُقسِمُ الشاعر بأنه لم يتذوق طعم النوم منذ أن حال البَينُ بينه وبين صاحبته، وأن قلبه لم يزل منذ فراقهم مريضًا.

وقال أيضاً (من الكامل) [1]:

فَجَعَلتُ أُثلِجُها يَميناً بَرَّةً بِاللَهِ حَلفَةَ صادِقٍ لَم يَكذِبِ

ومن استخدامه صيغة القسم بالله قوله (من الخفيف) [2]:

قُلتُ بِاللَهِ ذي الجَلالَةِ لَمّا أَن تَبَلْتِ الفُؤادَ أَن تَصدِقينا

يستحلف الشاعر صاحبته بعد أن سألها فصدّتهُ ولم تكترث لسؤاله، فغاضَهُ ذلك واتّهمها بأنها قد أفسدت قلبه لما تبديه من الصَّد، وطلب منها أن تَصدُقَ في قولها معه.

وقوله أيضاً (من مجزوء الوافر) [3]:

أَهوَ يا أُختِ بِاللَهِ الـ ذي لَم يَكنِ عَن اسمي

هذه حكاية على لسان صاحبته التي تستحلف امرأةً أخرى، حيث استحلفتها طالبةً الحقيقة، هل عمر هو الذي ذكر اسمها صراحةً دون أن يُكنّى بهِ ؟

وجاء في المرتبة الثانية في استخدام حروف القسم حرف (الواو) حيث استخدمه في ثماني عشرة مرة، ومن الأمثلة على ذلك قوله (من الطويل) [4]:

فَوَ اللَهِ ما أَدري أَتَعجيلُ حاجَةٍ سَرَت بِكَ أَم قَد نامَ مَن كُنتَ تَحذَرُ

يتحدث الشاعر على لسان صاحبته وهي مستغربة من مجيء عمر مُبكرًا وتتساءل: هل السبب هو العجلة أم من كان يخافه عمر قد نامَ وزال الخوف الذي كان بسببه.

ومنه أيضاً قوله (من الطويل) [5]:

---

(2) المصدر السابق ، ص 80 .

(3) المصدر السابق ، ص 387 .

(4) المصدر السابق، ص 345.

(1) المصدر السابق، ص 125.

(2) المصدر السابق، ص 311.

فَوَ اللَهِ ما أَحبَبتُ حُبَّكِ أَيّماً وَلا ذاتَ بَعلٍ يا هُنَيدَةُ فَاِعلَمي

يؤكد الشاعر لهُنيدة بأسلوب القسم بأنه لم يحبب أبدًا مثل حبها فلتعلمي ذلك ولا تأخذك الظنون والمراد أنه لم يحبب مثل حبها امرأة قَطْ .

وقوله أيضاً(من الكامل)[1]:

وَاللَهِ لا أَنسى مَقالَتَها حَتّى أُضَمَّنَ مَيِّتاً لَحدي

يقسم الشاعر في البيت الماضي على أنه لن ينسى كلام صاحبته وذكرياتها حتى الموت وحتى يوضَع في القبر.

وجاء في المرتبة الثالثة حرف القسم (التاء) فجاءت في موضع واحد فقط وهو قوله (من مجزوء الرجز) [2] :

تَاللَهِ أَنسى حُبَّها حَياتَنا أَو أُقبَرُ

والمراد لا أنسى حبّها حيث حذف حرف النفي، فأما أن أعيش معها أو الموت.

أنواع المُقسَم به في شعره:

تنوّعتْ أساليب القسم لدى شاعرنا، فهي تتمثّلُ في القسم بالله وبالرّبِّ وباسم الموصول (الذي)، غير أن هذه الأدوات كان أكثرها ورودًا القسم (بالله) وهذا بدهيٌ لأن المؤمنَ لا يكون أحدٌ أحبّ إليه ولا أعظم من خالقه، ومن هنا أمَرَ الله جلّ شأنه عبادَه بأن لا يقسموا إلاّ به سبحانه بذاته أو بإحدى صفاته، وكما رأينا في الأبيات الماضية، فإن القَسم بلفظ الجلالة قد تغيّر الحرف المسبوق به فأحيانًا بالتاء وأحيانًا أخرى بالباء والواو.

ومن أنواع القَسم التي جاء بها الشاعر: القسم (بالرّب)، فقد وردت هذه الكلمة في أكثر من بيت في ديوان الشاعر، وأتت في جميع أحوالها مضافةً سواء لكلمة بعدها أو لضمير، فمن استخدامه لهذه الكلمة لضمير قوله في بيتين متتاليين (من الخفيف)[1]:

(3) المصدر السابق، ص 108.

(4) المصدر السابق، ص 184.

فَاستُفِزَّت لِقَولِهِ ثُمَّ قالَت: لا وَرَبّي يا بَكرُ ما كانَ مِمّا
قيلَ حَرفٌ فَلا تُراعَنَّ مِنهُ بَل نَرى وَصلَهُ وَرَبّي حَتما

ومثال إضافة كلمة (الرّب) إلى اسم بعدها قوله (من مجزوء الخفيف) [2]:

لَمْ يَخُنْكِ الوِدادَ لا لا وَرَبِّ المَواسِمِ

ومنه أيضاً قوله (من الكامل)[3]:

هَذا المُغيريُّ الَّذي كُنّا بِهِ نَهذي وَرَبِّ البَيتِ يا أَترابي

ومن الأسماء التي أقسم بها الشاعر أيضًا القسم باسم الموصول (الذي)، وهو اسم مبهم لا يتضح إلاّ بصلته كما قال النحويّون، وعندما استخدم عمر اسم الموصول (الذي) جاء بصلته في جميع أبياته جملةً فعلية، وقد ورد القَسم باسم الموصول في ثلاث مناسبات، وهي قوله في أبيات من قصائد مختلفة (من الكامل، والمنسرح، والبسيط على الترتيب) [4]:

لا وَالَّذي بَعَثَ النَبِيَّ مُحَمَّـــداً بِالنورِ وَالإِسلامِ ديـــــنِ القَيِّمِ
لا وَالَّذي أَحرَمَ العِبادُ لَـــــهُ بِكُلِّ فَجٍّ مِن حِـــــــجَّةٍ رُفَقُ
فَقُلتُ **لا وَالَّذي** حَجَّ الحَجيجُ لَهُ ما مَجَّ حُبُّكِ مِن قَلبي وَلا نَهَجا

كما استخدم الشاعر بعض الألفاظ الأخرى للقَسم منها: القسم (بالجَد) وورد في شعره مرةً واحدة في قوله(من الطويل) [5] :

أولَئِكَ هُم قَومي **وَجَدِّكَ** لا أَرى لَهُم شَبَهاً فيمَن عَلى الأَرضِ مَعشَرا

(29) المصدر السابق، ص 336.
(30) المصدر السابق، ص 346.
(31) المصدر السابق، ص 60.
(32) المصدر السابق، ص 330، 251، 90.
(33) المصدر السابق، ص 188.

فقد أقسم بالجد، وهو أبو الأب، وعادة ما يقسم به الشعراء عندما يكون الغرض الشعري هو الفخر، كما هو في البيت.

ومن الألفاظ الأخرى التي أقسم بها الشاعر (العيش)، وهو المَطعم والمَشرب وما تكون به الحياة [1]، وورد هذا القَسم في موضعين، الأوّل في قصيدته الشهيرة (أمن آل نعم) حيث يقول(من الطويل) [2]:

أَهَذا الَّذي أَطرَيتِ نَعتًا فَلَم أَكُن **وَعَيشِكِ** أَنساهُ إِلى يَومِ أُقبَرُ

والموضع الثاني في قوله (من الكامل) [3]:

قالَت **وَعَيشِ** أَبي وَحُرمَةِ إِخوَتي لَأُنَبِّهَنَّ الحَيَّ إِن لَم تَخرُجِ

والأصل أنّ هذه الألفاظ لا تصلح للقَسَم، فمنذ أن جاء الإسلام حرُم على المسلم أن يحلف بغير الله أو إحدى صفاته، لكن الشاعر هنا ونظرًا لما يحمله شعره من نزعة غزليّة وقصصية تحتاج إلى التنويع والتغيير في مخاطبة المتلقي لإقناعه وتأكيد ما يقوله الشاعر، لجأ إلى تنويع أدوات القسم، كذلك تأثّر الشاعر ببعض شعراء الجاهلية كامرئ القيس مثلاً، جعله يُقسِم بغير الله.

ومن الأشياء التي أقسم بها الشاعر (الأب)، وورد ذلك في موضع واحد، وهو قوله (من الوافر) [4]:

فَلا **وَأَبيكَ** ما صَوتَ الغَواني وَلا شُربَ الَّتي هِيَ كَالفُصوصِ

القَسمُ المُقدَّر :

(34) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ع. ي .ش).

(35) الديوان، ص 124.

(36) المصدر السابق، ص 91.

(37) المصدر السابق، ص 203.

وهي ظاهرة أسلوبية في شعر الشاعر، فقد حذف الشاعر حرف القسم الباء أو التاء أو الواو في قوله: (عمرك) ، وهو يضيفها إلى لفظ الجلالة (عمرك الله) والتقدير (أحلف بتعميرك الله) أي بإقرارك له بالبقاء[1]

وقد تكرّر هذا اللفظ في أربع مرّات، من ذلك قوله (من الخفيف) [2]:

أَبِعِلمٍ أَتَيتَ ما جِئتَ مِنّي عَمرَكَ اللَهَ سادِراً أَم بِظَنّ

وأحيانًا يدل على القَسم المحذوف بعض الألفاظ مثل: (لقد أو لئن) وهي كثيرة في شعر عمر فـ(اللام) في (لقد) واقعة في جواب قسم مقدّر، تقديره (والله لقد ...) فدلّت هذه اللام مع (قد) على القَسم المقدّر لتوكيد الخبر، وحذَفَ القَسم للإيجاز، وورد هذا النوع في شعر شاعرنا في ثلاثٍ وثلاثين مرةً، وعادة ما يأتي به الشاعر في بداية البيت، كما في قوله (من الوافر)[3]:

لَقَد دَبَّ الهَوى لَكِ في فُؤادي دَبيبَ دَمِ الحَياةِ إِلى العُروقِ

ومثله أيضاً (من الطويل) [4]:

لَقَد كانَ حَتفي يَومَ بانوا بِجُؤذَرٍ عَلَيهِ سِخابٌ فيهِ دُرٌّ وَعَنبَرُ

ففي البيتين الماضيين وما شابههما في ديوان الشاعر حذف الشاعر القسم، ودلّ عليه قوله :(لقد)

أمّا أمثلة لفظة (لئن) فهي كثيرة أيضًا، وهي مكوّنة من (اللام المفتوحة مع أنْ) والتقدير (والله لأن) ومن أمثلة هذا القسم المحذوف في شعره قوله (من الطويل) [5]:

---

(38) هامش الديوان، ص 277.

(39) الديوان، ص 369 .

(40) المصدر السابق، ص 253 .

(41) المصدر السابق، ص 178 .

(42) المصدر السابق، ص 122.

لَئِن كانَ إيّاهُ لَقَد حالَ بَعدَنا عَنِ العَهدِ وَالإِنسانُ قَد يَتَغَيَّرُ

وقوله أيضًا (من الطويل) [1]:

لَئِن كانَ ما حَدَّثتَ حَقّاً فَما أَرى كَمِثلِ الأُلى أَطرَيتَ في الناسِ أَربَعا

وقد اجتمعت الأداتان في بيت واحد، وهو قوله (من الكامل) [2]:

وَلَقَد عَلِمتُ **لَئِن** عَدَدتُ ذُنوبَهُ أَن سَوفَ يَزعُمُ أَنَّهُ لَم يُذنِبِ

وعلى هذا النوع من القَسَم المحذوف يقول النحويّون: "وحيثما قيل (لأفعلنّ) أو (لقد فعل) أو (لئن فعل) ولم تتقدم جملة قسم، فثمّة جملة قَسَمْ مُقدّرة "[3].

المبحث الثاني: أسلوبا المدح والذَّم:

أولاً أسلوب المدح:

تُعَد قصيدة المدح من أهم قصائد الشعر العربي؛ لأنها حافظت على المنظومة الأخلاقية العربية وشكّلتْ النموذج الأخلاقي الذي ينبغي أن ينسج على منواله، ورسمت الصورة التي يرغب الشاعر في أن يراها في الممدوح.

وقد ارتبط المدح منذ العصر الجاهلي بغيره من الأغراض، كالغزل الذي يقوم على ذكر محاسن المحبوبة، أو الرثاء الذي يقوم على ذكر محاسن الميت، وفي بعض الأحيان يكون المديح وسيلة للتكسّب عند بعض الشعراء، وشكّلتْ قصيدة المدح انعكاسًا طبيعيًا لمظاهر الحياة الثقافية، حيث سجّلت مآثر العرب وأخلاقهم وأيامهم التي قامت على المروءة.

(43) المصدر السابق، ص 209.

(44) المصدر السابق، ص 80 .

(45) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، 644/2 .

ويُعتبر المدح من أساليب الإنشاء غير الطلبية، ويُعبَّر عن أسلوب المدح بأدواتٍ عديدة منها (نِعمَ، وحَبَّذا) وكذلك الأفعال المحوّلة إلى المدح كأنْ تقول: طاب عليٌ نفسًا وحَسُنَ خُلقًا.

وأكثرُ أساليب المدح ورودًا في شعره هي التي جاءت بصيغة (حبّذا) فقد وردت في ثلاثة عشر موضعًا، نورد منها الأبيات التالية:

يقول عمر بن أبي ربيعة(من الخفيف) [1]:

حَبَّذا رَجعُها إِلَيها يَدَيها في يَدي دِرعُها تَحُلُّ الإِزارا

وقوله (من الكامل) [2]:

يا حَبَّذا تِلكَ الحُمولُ **وَحَبَّذا** شَخصٌ هُناكَ **وَحَبَّذا** أَمثالُهُ

وكذلك قوله (من الهزج) [3]:

أَلا يا **حَبَّذا** نَجدٌ وَمَن أُسكِنها أَرضا

وَحَيّا **حَبَّذا** ما هُم وَلو لي حَقِدوا البُغضا

وكذلك قوله (من الطويل) [4]:

لَقَدْ بَسمَلَتْ ليلَى غَداةَ لقيتُها فَيا **حَبّذا** ذاكَ الحَديثُ المُبسمَلُ

أمّا بالنسبة إلى الأفعال المحوّلَة إلى المدح ، فهي كثيرةٌ في شعر الشاعر، وذلك لأنّ معظم قصائده كان يقولها في صاحباتٍ له، فكان يتغزّل بهنّ ويُلقي في كل واحدة ما كان يختلجُ في نفسه من مشاعر الشوق والمحبة، فانطبع شعره بالغزل ومدحِ صاحباته؛

(46) الديوان، ص 156.

(47) المصدر السابق، ص 292.

(48) المصدر السابق، ص 207.

(49) المصدر السابق، ص 306.

وذلك بذكر محاسنهنّ أحيانًا أو ذكر صفاتهنَّ في أحيان أخرى، ومن الأبيات الدّالة على المدح واستخدم فيها الشاعر فعل المدح قوله (من البسيط)[1]:

يا طيبَ طَعمِ ثَناياها وَرِيقَتِها إذا اِستَقَلَّ عَمودُ الصُبحِ فَاعتَدَلا

فالشاعر في هذا البيت يمتدح المحبوبة وما فيها من جمال في الخِلقة، وقد استخدم الفعل "طِيبَ" الدّال على الاستحسان والمدح.

ومن استخدام الشاعر لفعلي المدح في بيت واحد قوله (من الطويل)[2]:

فَيا طيبَ لَهوٍ ما هُناكَ لَهَوتُهُ بِمُستَمَعٍ مِنها **وَيا حُسنَ** مَنظَرِ

فقد تحدث الشاعر عن ذكرياته مع صاحبته ولهوه الذي يصفه بأنه عظيم وجميل، ويمدح كذلك حسن منظر الحبيبة في قوله (ويا حسن منظر) .

ومن الظواهر الأسلوبية لدى الشاعر في أسلوب المدح أنه يُكرّرُ صيغة المدح وذلك للمبالغة فيه والإطناب والزيادة فيه وتقويته، ومثال تكرار صيغة المدح قوله (من المتقارب)[3]:

أَلا حَبَّذا حَبَّذا حَبَّذا حَبيبٌ تَحَمَّلتُ مِنهُ الأَذى

وَيا حَبَّذا بَردُ أَنيابِهِ إذا أَظلَـــمَ اللَيلُ وَاِجلَوَّذا

كرّر الشاعر في البيتين السابقين أسلوبَ المدح (حبّذا) أربع مرّات وذلك ناتجٌ عن مكانة صاحبته في قلبه، فهو يحبذُها رغم ما سبّبته له من أذَى، وليس ذلك فحسب إنما باشر في البيت الثاني بالتغزّل فيها وإظهار محاسنها، فالتكرار هنا للمبالغة في المدح .

فالتكرار كما ذكرتْ (نازك الملائكة): "إلحاحٌ على جهة هامة من العبارة، يُعنَى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، وهو بذلك ذو دلالة نفسية قيّمة ينتفع بها الناقد الأَدبي

(50) المصدر السابق، ص 278 .

(51) المصدر السابق، ص 131 .

(52) المصدر السابق، ص 121 .

الذي يدرس النص ويحلّل نفسية كاتبه، إذ يضع في أَيدينا مفتاح الفكرة المتسلطة على الشاعر" [1]

وقوله(من الهزج) [2]:

أَلا يا **حَبَّذا** نَجدٌ وَمَـــن أُسكِنها أَرضا

وَحَيّا **حَبَّذا** ما هُم وَلو لي حَقِدوا البُغضا

وقوله أيضًا(من الكامل) [3]:

يا حَبَّذا تِلكَ الحُمولُ **وَحَبَّذا** شَخصٌ هُناكَ **وَحَبَّذا** أَمثالُهُ

كما استخدم الشاعر في بيتٍ من قصائده كلمة (لا أبالك) وهي كلمة تَصلُحُ أن تكون للمدح وتصلح أن تكون للذم، وذلك في قوله (من الخفيف) [4]:

وَلَقَد قُلتُ **لا أَبا لَكَ** دَعني إِنَّ حَتفي في أَن أَزورَ الرِفاقا

ومعناها على المدح، أنّ المخاطَب لا يعتمد على مجدِهِ القديم حتى يُضيف إليه مَجدًا حديثًا، والمعنى على الذم ظاهرٌ وواضح.

ومن الأساليب التي أتى بها عمر بن أبي ربيعة في المدح أسلوب التنكير، فالتنكير يكسب المدح قوةً وفخامة[5] ومن ذلك قوله (من مجزوء الرمل)[6]:

حَبَّذا ذاكَ **غَزالاً** قَد شَفى قَرحَ نُدوبي

---

(53) قضـايا الشـعر المعاصـر، نـازك الملائكـة، دار العلـم للملايـين، بيـروت، ط 5، 1978م، ص276.

(54) الديوان، ص 207.

(55) المصدر السابق، ص 292.

(56) المصدر السابق، ص 238.

(57) ينظر: مجلة القرآن الكريم، مقال: من بلاغة القرآن الكريم في المدح والذم، هواري طالبي، 5 / جمادي الأول 1431 العدد الثاني – الجزائر، ص 75.

(58) الديوان، ص 67.

فقد نكّر الشاعر (الغزال) والمقصود به هنا محبوبته، وشبّهها بالغزال، ووصفها بأنها قد شَفتْ آثارَ جروحه التي أُصيب بها.

أما أسلوب المدح (نِعم) فلم يرد في شعر الشاعر إلا في بيتٍ واحد وهو قوله (من المنسرح)[1]:

نِعمَ شِعارُ الفَتى إذا بَرَدَ الـ لَيلُ سُحَيراً وَقَفقَفَ الصَرِدُ

ثانيًا أسلوب الذم:

مِن صيغه (بئس) و(لا حبّذا)، وكذلك الأفعال المحوّلة إلى الذّم مثل قولك: (خَبُث فلانٌ أصلاً)، وحيث إنّ شاعرَنا قد اشتهر بأنه شاعر الغزل الأوّل، وأنّ معظم ديوانه يتحدث عن قصائد التشبيب والغزل والجمال، فإنّنا نجدهُ قليلاً ما يستخدم هذا الأسلوب وهو أسلوب الذم، ولا غرابة في ذلك، فقد عاش الشاعر مترفًا منعّمًا لا يهمّه من هذه الحياة سوى عيش ملذّاتها، فقد خلى أسلوب الشاعر تقريبًا من أساليب الذم، فهو لم يدخل في مشاحنات مع أحد أو نقائض مع الغير مثل (جرير) أو(الفرزدق) على سبيل المثال أو (جرير) و(عمر بن لجأ التيمي) وغيرهم.

ومن خلال استقرائنا لديوان الشاعر لم نعثر على صيغة الذم (بئس) إلاّ في ثلاثة أبيات فقط، وهو قوله (من الخفيف)[2]:

قُلتَ أَنتَ المَلولُ في غَيرِ شَيءٍ **بِئسَما** قُلتَ لَيسَ ذاكَ كَذاكا

يخاطب الشاعر العاتب ويلومه على كثرة كلامه، ويصف هذه الصفة بأنها ذميمة فيقول: (بئسما قُلتَ)، وفي غير هذه المواضع يكتفي الشاعر بتوجيه اللوم والعتاب للكاشح أو الشخص الذي يريد قَطعَ الصلةَ بينه وبين صاحبته بدون أن يوجّه له أي نوع من أساليب

(59) المصدر السابق، ص 119.

(60) المصدر السابق، ص 254.

الذم، حيث يقول على سبيل المثال في الشّامتين الذين شَمَتُوا به بعدما تقطّعت السبلُ بينه وبين من يحب (من الطويل)[1]:

فَلا مَرحَباً بِالشامِتينَ بِهَجرِنا وَلا زَمَنٍ أَضحى بِنا قَد تَقَلَّبا

فهو لم يرحب بهؤلاء الشامتين ولا بالزمن الذي أصبح متقلبًا، بعد فراق محبوبته.

أمّا فاعل (نعم وبئس) فقد جاء في كلِّ أحواله اسمًا ظاهرًا، ففي استخدامه لـ(نعم) جاء فاعل (نعم) اسمًا مضافًا، كما رأينا في قوله: (نعم شعار...)، وفي الحالات الثلاثة التي استخدم فيها (بئسَ) فقد جاء فاعلها اسمًا مضافًا أيضًا، حيث يقول (من الخفيف، والمنسرح، والخفيف على الترتيب)[2]:

ثُمَّ لَم توفِ إِذ حَلَفتَ بِـــعَـهدٍ **بِئسَ ذو** مَـوضِعِ الأَمانَةِ أَنتا

حَتّى جَفَونا وَنَحنُ نَتبَعُهُـــــم أَلـــيَسَ بِاللَهِ **بِئسَ ما** صَنَعوا

قُلتَ أَنتَ المَلولُ في غَيرِ شَيءٍ **بِئسَ ما** قُلتَ لَيسَ ذاكَ كَذاكا

أمّا فيما يأتي بعد (نعم وبئس) فله أغراضٌ متعدّدة كالإيجاز، حتى لا يكون هناك إطالة في صفات الممدوح أو المذموم، أو يكون الغرض من ذلك الإبهام، كأن تقول لشخصٍ: بئس ما فعلت، فلا تريد من أحدٍ أن يعرف الفعل الذي قام به، وقد جاء ذلك في شعر الشاعر في قوله :(بئس ما صنعوا)، وقوله : (بئس ما قلتَ ...)

أمّا الاسم الذي أتى بعد (نعم وبئس، وحبذا ولا حبذا) فجاء اسمًا مرفوعًا في أغلب المواضع.

أمّا الأفعال الدالّة على الذم، فلم يُكثر منها الشاعر كذلك، فورد لفظ (قَبّحَ) في بيت واحد، وهو قوله (من الخفيف)[3]:

إِن تُجِدَّ الوِصالَ مِنكَ فَإِنّا **قَبَّحَ** اللَهُ بَعدَها مَن خَدَعتا

(61) المصدر السابق، ص 53.

(62) المصدر السابق، ص 83، 221، 254.

(63) المصدر السابق، ص 83.

المبحث الثالث: أسلوب التعجّب:

هو استعظام أمرٍ ظاهر المزية خافي السبب[1] فالتعجّب إذًا شعورٌ داخليٌ تنفعل به النفس حين تستعظم أمرًا نادرًا، أو لا مثيل له مجهول الحقيقة أو خفي السبب، وقد يترتب على هذا ظهور آثار خارجية، كالتي تبدو على الوجه من العبوسة أو الطلاقة على قدر تأثر النفس به، ولا يعرف السبب، فمتى عُرفَ السبب بطل العجب.

أساليب التعجب:

تنقسم أساليب التعجب إلى قسمين: قياسي وسماعي، فالقياسي له صيغتان: (ما أفعله)، و(أفعل به)، فمثال الصيغة الأولى، قوله تعالى: ﴿**فَمَا أَصْبَرَهُم عَلَى النَّارِ**﴾[2]، والتعجب هنا للمؤمنين من جُرأة أولئك الكفار على اقتراف أنواع المعاصي التي أوجبت لهم النار. والواقع أنّ الشاعر لم يستخدم هذا الأسلوب في مواقع عدة، بل اكتفى بذكره في بيتين، وهو قوله (من المنسرح)[3]:

ما أَحسَنَ الوُدَّ وَالصَفاءَ **وَما** **أَقبَحَ** مِنها الهِجرانَ وَالعُذرُ

قَد بُلينا وَما نَجودُ بِشَيءٍ وَيحَ نَفسي يا حِبَّ **ما أَجفاكا**

فالشاعر في البيت الأول يستحسنُ ويتعجّبُ من أيّام الودّ والصفاء والمحبّة بينه وبين صاحبته، ويستقبِحُ ويتعجّبُ من أيام الهَجرِ والقطيعة بينه وبينها. وهذا التعجّب يُبيّنُ ما بنفس الشاعر من لوعةٍ وحنين لتلك الأيام التي كانت بينه وبين من يحب.

وفي البيت الثاني يتعجّب من جفاء صاحبته رغم ما جاد به من أشياء.

(64) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004م، 590/2.

(65) سورة البقرة، من الآية 175.

(66) الديوان، ص 191، 254.

أمّا ثاني أساليب التعجّب هو ما جاء على صيغة (أفعل به) كأن نقول: (أصدق بمحمد وأصدق به) وهذه الصيغة القياسية للتعجّب لم تختلف عن سابقتها من حيث كثرة الورود، فقد وردت في بيتٍ واحد فقط، وهو قوله (من الكامل)[1]:

وَيَفوزُ مَن هِيَ في الشِتاءِ شِعارُهُ **أكرِمْ بِها** دونَ اللَحافِ شِعارا

التعجب السماعي:

هو التعجب الذي لا وزن ولا قاعدة له، وللتعجب السماعي في العربية ألفاظ كثيرة لا يتعرض لها النحاة في باب التعجب مثل: أبيت اللّعن، ولله درك، وقاتله الله من رجل، ...إلخ، ومنه الاستفهام الخارج إلى التعجب، كقوله تعالى: ﴿**كَيفَ تَكفُرونَ بِاللهِ وكُنتُم أمْواتًا فَأحْيَاكُم**﴾[2]، وقوله تعالى:﴿**وَأصحَابُ الشّمالِ مَا أصحَابُ الشّمَال**﴾[3]، وغيرها من الآيات الكريمة.

وقد استخدم الشاعر التعجّب السماعي في مواضع كثيرة، واستعمل لذلك أساليب الإنشاء الطلبية كالاستفهام والنداء وغير ذلك، فهي تخرج عن أغراضها التي وضعت لها إلى أغراضٍ أخرى تُفهم من السياق، والواقع أنّ التعجب السماعي – حسب رأيي– أجمل بكثير من ذلك الذي تحكمه أوزانٌ معيّنة، وذلك لأنّه يساعد الشاعر على الإبداع والتفنّن في أصناف القول، فتارة يتعجّب الشاعر بأسلوب الاستفهام بطريقة جميلة، ويتخلّلُ هذا التعجب نوعٌ من الحيرة على المتعجِّب، مما يزيده جَمالاً وحيوية، وإذا ما استعرضنا لهذه الأنواع لدى الشاعر لما استطعنا أن نكمل ما جاء على هذا الأسلوب وذلك لكثرته، فمن أنواع التعجّب الذي جاء باستخدام أساليب الإنشاء الطلبي قوله (من الوافر)[4]:

أَقولُ وَشَفَّ سِجفُ القَزِّ عَنها **أَشَمسٌ** تِلكَ أَم قَمَرٌ مُنيرُ؟

(67) المصدر السابق، ص 146.

(68) سورة البقرة، من الآية، 28.

(69) سورة الواقعة، الآية، 41.

(70) الديوان، ص 176.

فالشاعر في هذا البيت يستخدم أسلوب الاستفهام، غير إنّه ليس استفهامًا حقيقيًا، فقد ذَهلَهُ منظر صاحبته، وما رأى من جمالها، فاستفهم وهو في دهشةٍ وحيرة وتعجّبٍ من هذا الجمال، وعلى هذا النحو قوله (من الطويل)[1]:

أَليسَ كَثيراً أَن نَكونَ بِبَلدَةٍ كِلانا بِها ثاوٍ وَلا نَتَكَلَّمُ ؟

يتعجّبُ الشاعر بأسلوب الاستفهام ، كيف يكون مع صاحبته مقيمان في بلدة واحدة ولا يلتقيان أو يتكلمان، فهو استفهام مخلوطٌ بالدهشة والعتاب والتعجب وعدم الرضا على الحالة التي وصل إليها الشاعر.

ومثله أيضا قوله(من الوافر)[2]:

أَأَهجُرُها وَأَقعُدُ لا أَراها وَأَقطَعُها وَما هَمَّت بِقَطعي

فهو يتعجّب ويستبعد فكرة أن يهجر صاحبته والابتعاد عنها وقطعها، ويستخدم في ذلك أسلوب الاستفهام الذي خرج إلى غرض التعجب.

وفي بعض الأحيان يستخدم الشاعر أسلوبًا طلبيًا آخر؛ ليعبّر به عن تعجّبه من موقفٍ معينٍ، وهذا الأسلوب هو أسلوب (النداء)، فالشاعر ينادي المتعجب منه، ليس إلاّ للتعجب منه، ومن هذا الموقف، فتارة ينادي الليل، وتارة ينادي المكان، وأحيانًا أخرى ينادي الحوادث، إلى غير ذلك، فاستخدامه لأسلوب النداء للتعجّب جاء متنوّعًا بحسب موقف الشاعر وعواطفه وأحاسيسه، فمن أمثلة تعجبه بهذا الأسلوب قوله (من الطويل)[3]:

فَيا لَكَ مِن لَيلٍ تَقاصَرَ طولُهُ وَما كانَ لَيلى قَبلَ ذَلِكَ يَقصُرُ

(71) المصدر السابق، ص 320.

(72) المصدر السابق، ص 223.

(73) المصدر السابق، ص 126.

فالشاعر يستقصر الليل الطويل، وذلك بعد لقاء محبوبته، ويستخدم أسلوب النداء، الذي تحوّل إلى تعجّبٍ من هذا الليل الذي اكتمل بسرعة فائقة بعد أن كان طويلاً ولم يكتمل، ومن هذا النوع أيضًا قوله (من الطويل)[1]:

وَيا لَكَ مِن مَلهًى هُناكَ وَمَجلِس لَنا لَم يُكَدِّرهُ عَلَينا مُكَدِّرُ

فهو ينادي المكان الذي كان يجالس فيه صاحبته في أوقات الصفاء، بدون أن يتدخّل الرقيب عليهما، ولم ينغّص عليهما خلوتهما، فهو يستذكر ذلك المجلس ويتعجب بنوعٍ من الحُرقة والأسى على تلك الأيام وذلك المكان.

بعض الألفاظ التي تفيد التعجب:

هناك بعض الألفاظ تستخدم للتعجّب، وهي ألفاظٌ سماعية، سُمعت عن العرب واستُخدمت في هذا الموضع، ومن هذه الألفاظ **(كفى)**، وهي فعلٌ ماضٍ يفيد التعجب، وعليه جاء قوله تعالى: ﴿**وكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا**﴾[2] أي أنّه لا شاهد أفضل من الله تعالى فيما بينكم وبينهم، وكفى به تعالى محاسبًا لكم، فلا تخالفوا ما أُمرتم به ولا تجاوزوا ما حدّ لكم، وفي الآية الكريمة تعجب، كأنما يريد الله أن يقول لنا :(ما أكفى الله حسيبا).

وقد استخدم شاعرنا هذا اللفظ في موضع واحد، بقوله (من الطويل)[3]:

كَفى حَزَنًا أَن تَجمَعَ الدارُ شَملَنا وَأُمسي قَريبًا لا أَزورُكِ كُلثُما

فالشاعر يتعجّبُ من موقفه مع صاحبته، بأن صارت بعيدة عنه لا يزورها ولا يلتقي بها، فقال:

(كفى حزنًا ...)

(74) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(75) سورة النساء، من الآية 6.

(76) الديوان، ص 352.

ومن الألفاظ الأخرى التي تدلّ على التعجب (حَسْب)، وغالبًا ما تأتي مضافة إلى ما بعدها سواء كان اسمًا أو ضميرًا، كأن تقول: حسبك بزيدٍ رجلاً.

ووردتْ هذه العبارة في شعر عمر أربع مرّات، وكانت في جميعها مضافة، يقول في قصائد متفرقة(من الوافر، ومن الخفيف)[1]:

أَلا يا مَن أُحِبُّ بِكُلِّ نَفســـــي وَمَن هُوَ مِن جَميعِ الناسِ **حَسبي**

لا تَلُمني عَتيقُ **حَسبي** الَّذي بي إِنَّ بي يا عَتيقُ ما قَد كَفانـــي

لا تَلُمني عَتيقُ **حَسبي** الَّذي بي وَالتَمِس لـــي الدَواءَ عِندَ الطَبيبِ

فَبِحَسبي أَنّي بِذِكرَةِ هِنـــــــدٍ هـــــائِمُ العَقلِ دائِمُ الأَحـــزانِ

ففي الأبيات السابقة يستخدم الشاعر لفظة (حسب) الدّالة على التعجب، ويجمعها مع لفظة (كفى) في البيت الثاني ليزيد من قوّة التعجب الذي يقصده، فهو يقول إنّ الذي نزل بي من ألم الحب يكفيني، فلا أطيق احتمال شيء بعده.

وقد يُتعجّبُ أحياناً بـ(لام القسم) التي تدخل على لفظ الجلالة (الله) ومنه ما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**للهُ** أفرحُ بتوبةِ العبد ..." [2] والتقدير: واللهِ للهُ أكثرُ فرحًا من فرح العبد بالتوبة.

وقد قرن عمر بن أبي ربيعة التعجب بلام القَسم بلفظة (درّهُ) فنجده يقول: (لله درّه أو درّها) ليشكّل بذلك أسلوبًا للتعجّب، ووردت في بيتين، حيث يقول (من الخفيف)[3]:

بَعَثَت لِلوِصالِ نَحوي وَقالَت إِنَّ **لِلَّهِ دَرَّهُ** كَيفَ تابا

قُتِلَتْ باطِلاً عَلى غَيرِ ذَنبٍ إِنَّ **لِلَّهِ دَرَّها** مِن قَتيلِ

(77) الديوان، ص 82، 378 ، 71، 366.

(78) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، باب التوبة، دار ابن كثير، بيروت – لبنان، 2324/5.

(79) الديوان، ص 55، 304.

ففي البيت الأوّل يتحدث الشاعر على لسان صاحبته بأسلوب قصصي، وهي تتعجّب من عمر الذي اختار أن يصبر على فراقها وعزّ النفس عنها، وفي البيت الثاني يتعجّب من صاحبته التي قُتلتْ بالباطل، فاستخدم لفظة (لله درّها).

ومن الصيغ غير القياسية لأسلوب التعجب، أن يتعجب بالمصدر (عجب) وما يشتق منه، كقوله تعالى حكايةً عن سيدنا موسى وفتاه يوشع بن نون: ﴿**وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا**﴾[1] "، وهنا يقول(عَجَبًا)؛ لأنه يحكي ما حدث ويتعجب منه، وكيف أن الحوت المشويّ تَدُبُّ فيه الحياة حتى يقفز من المكتل ويتجه صَوْبَ الماء، فهذا حقًّا عجيبة من العجائب؛ لأنها خرجتْ عن المألوف"[2]

وفي شعر عمر وردت لفظة التعجب في مرّات كثيرة، وكلها جاءت في مواقف تدلّ على تعجّب الشاعر من المواقف التي يمر بها، فمن استخداماته لهذه الكلمة قوله (من الكامل)[3]:

عَجَبًا لِمَوقِفِها وَمَوقِفِنا وَبِسَمعِ تِربَيها تُراجِعُنا

فهو يتعجّب باستخدام فعل التعجب (عجبًا) من موقف الشاعر وموقف صاحبته ويتعجّب كذلك من أتراب صاحبته المساوية لهنّ في السن بنقل الكلام الذي يدور حولهما، ومثله أيضًا قوله (من الكامل)[4]:

قَد كُنتُ أَغْنَى في السَّفاهَةِ وَالصِّبا **عَجَبًا** لِما تَأتي بِهِ الأَيّامُ

(80) سورة الكهف، من الآية 63.

(81) تفسير الشعراوي، خواطري حول القرآن الكريم، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، (د.ت) 2187/15.

(82) الديوان، ص 393.

(83) المصدر السابق، ص 353.

فالشاعر يتحسّر على أيامه الخوالي وأيام شبابه التي ولّت، فقد كان فيها منشغلاً بلهوه وسفاهته، لكن الأيام أتتْ بأشياء أخرى بدّلت حاله وأحواله، وهو يتعجّب من هذه الأيام التي أتتْ بأشياء غير محبّبة لنفسه.

وفي اللغة العربية ألفاظٌ من كثرة استعمالها أفادت المدح والتعجب، ومنها: (ويح)[1]، وقد جاءت في شعر عمر في أربع مواضع، وهي مضافة إمّا للنفس، أو القلب، وقد أفادت معنى التعجب، ومن ذلك قوله(من الخفيف)[2]:

قَد بُلينا وَما نَجودُ بِشَيءٍ **وَيحَ نَفسي** يا حِبَّ ما أَجفاكا

فالشاعر في هذا البيت يتعجّب بكلمة (ويح)، ثم أكّد هذا التعجب في آخر البيت، حيث اجتمع التعجب غير القياسي مع التعجّب القياسي.

ومن هذا النوع أيضاً قوله (من المديد)[3]:

لِلَّتي قالَت لِجارَتِها **وَيحَ قَلبي** ما دَهى عُمَرا

فهي حكاية عن صاحبته التي تخاطب جارتها، وهي متعجّبة ممّا حلّ بعُمر.

الخاتمـــــــــــة

وبعد ... فقد تبيّن من خلال الدراسة أهمية الشاعر عمر بن أبي ربيعة، فهو من الشعراء الذين استطاعوا أن يتركوا نتاجًا أدبيًا واضحًا، كما أنّ الشاعر قد أجادَ إلى حدٍ كبير في استغلال طاقات اللغة وإمكاناتها في تشكيل الأساليب الإنشائية غير الطلبية المختلفة، وتوظيفها في شِعره.

(84) لسان العرب، ابن منظور، مادة (و.ي.ح).

(85) الديوان، ص 254.

(86) المصدر السابق، ص 175.

وقد تبيّن للباحث أهمية دراسة أساليب الإنشاء بنوعيها الطلبية وغير الطلبية، لما لهما من معانٍ وأغراضٍ بلاغية كثيرة تظهر من خلال سياق الجملة، وأنّ الأساليب الإنشائية غير الطلبية لا تقل أهميةً عن الأساليب الإنشائية الطلبية.

وقد مَثّل أسلوب القسم المساحة الأكبر في ديوان الشاعر، وأفاد عدة معانٍ داخل سياق القصيدة، ومن هذه المعاني: التوكيد، والتكريم، والطمأنة، واستخدم في ذلك مختلف أساليب القسم كالواو والتاء والباء، ونوّع الشاعر في استخدام المقسم به على حسب الموقف الذي يشغله أو يمر به.

ومثّل أسلوب القسم المقدّر أحد الأساليب الجميلة التي استخدمها الشاعر، والذي يدل عليه ألفاظ متعددة داخل البيت الشعري أو القصيدة.

استخدم الشاعر أسلوب المدح في أثناء حديثه عن الغزل والمدح والفخر، وغير ذلك، واستخدم الأداتين المستخدمتين (نعم)، و(حبذا)، وكذلك استخدم الأفعال المحوّلة إلى المدح.

لم يكثر الشاعر من أساليب الذم، والسبب في ذلك أنّ أغلب شعره جاء للغزل والفخر والرثاء، فلم يدخل في مساجلات شعرية مع شعراء قبائل أخرى.

في أسلوب التعجب استخدم الشاعر أسلوب التعجب القياسي والسماعي، وقرنها بأساليب الإنشاء الطلبية كالاستفهام والنداء، فزادتها قوّة وتأثيرًا لدى المتلقي، كما استخدم الشاعر بعض الألفاظ التي أفادتْ التعجب، مثل: (كفى)، و(حسب)، و(لام القسم)، وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: قالون عن نافع.

- أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، ط 1، الكويت، 1980م.
- بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، ت: محمد حفني شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت).
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، 1420هـ.
- البلاغة العربية، عبدالرحمن بن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط 1، 1996م.
- البلاغة العربية، المعاني، البيان، البديع، أحمد مطلوب، ط 1، بغداد، 1980م.
- البلاغة، فنونها وأفنانها، (علم المعاني) فضل حسن عباس، دار الفرقان، إربد، ط 4، 1417هـ.
- التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية، ت: يوسف شاهين، دار الكتاب العربي، (د.ت).
- تفسير الشعراوي، خواطري حول القرآن الكريم، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، (د.ت).
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، ط 12 بيروت – لبنان.
- دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر– القاهرة، ط 2، 1987م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له: فايز محمد، دار الكتاب العربي، ط 2، 1416هـ – 1996م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، باب التوبة، دار ابن كثير، بيروت – لبنان.

– علم المعاني، بسيوني عبدالفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1419هـ.
– الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن قيّم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
– قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط 5، 1978م.
– لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط 8، 1435هـ.
– مجلة القرآن الكريم، مقال: من بلاغة القرآن الكريم في المدح والذم، هواري طالبي، 5/ جمادي الأول 1431هـ، العدد الثاني – الجزائر.
– مطوّل على التلخيص، سعد الدين التفتازاني السمرقندي، ت(792هـ)، مطبعة سنده، 1310هـ.
– معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب،مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1983م.
– المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004م.
– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة.
– من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2004م.
– موجز البلاغة، محمد الطاهر بن عاشور، أضواء السلف، ط1، 1426هـ.
– النظم القرآني في آيات الجهاد، ناصر بن عبد الرحمن الخنين، مكتبة التوبة، ط 1، 1416هـ

* * *